

# عن أبي نعيم النخعي والبرقي عن الغزالي

طارق جمعة حمد

معيد في كلية الامام الاعظم

تمهيد :

لقد كان الغزالي شخصية علمية وثقافية كبيرة ، لم تقف معرفته عند علم معين دون سواء من العلوم ، ولم تقتصر ثقافته على ناحية واحدة عدا غيرها من الثقافات ، ولا انحصر همه في معرفة فكرة واحدة من الافكار خلا غيرها ، ولا وقف اطلاعه على العقائد عند عقيدة معينة دون ما عداها ، بل شملت أكثر العلوم المعروفة في عصره والافكار السائدة والعقائد المنتشرة الحقبة منها والباطلة ، الصحيحة والفسادة ، لم يعرف ذلك من أجل المعرفة فحسب ولكن من أجل احقاق الحق وابطال الباطل ، ومن أجل ان يذهب الزبد جفاء ، وان يكون ما ينفع الناس مستقرا ثابتا . وقد عبر رضى الله عنه عن نفسه بنفسه حيث قال : « ولم أزل في غفوان شبابي - منذ راهقت البلوغ . قبل بلوغ العشرين الى الآن وقد أناف السن على الخمسين - اقتحم لجة هذا البحر العميق ، وأخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور ، أتوغل في كل مظلمة ، وأنهجم على كل مشكلة ، واقتحم كل ورطة ، واتفحص عن عقيدة كل فرقة ، واستكشفت أسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع ، لا أغادر باطنيا الا واحب ان أطلع على بطائه ، ولا ظاهريا الا واريد ان أعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا واحرص على العثور على سر صفوته . ولا متعبدا الا واترصده ما يرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا الا واتحسس وراءه للتنبه لاسباب جرأته في تعطيله وزندقته ، وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني من أول أمري

وريعان عمري ، غريزة وفطرة من الله ، وضعنا في جبلتي ، لا باختيارى وحيلتي ، حتى انحلت عني رابطة التقليد ، وانكسرت عليّ العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا ،<sup>(١)</sup> .

فهو مثقف واسع الثقافة ، مطلع رحب أفق الاطلاع ، ناقد بعيد غور النقد ، متعطش الى درك الحقائق ، مفلور على ذلك لا باختياره وحيلته .  
وحيث ان الامر كما بينه هو ، وكما اشترت اليه من سعة الثقافة وتعدد العلوم التي أحاط بها وعالجها ناقدا ومؤلفا ، مهاجما ومدافعا ، مفندا ومثبتا ؟ فقد أردت أن أعيش معه شطر جانب من جوانبه الواسعة الرحبة .  
وهذا الشطر هو « من الجانب النفسي والتربوي » وهو على ما اعتقد جانب مهم جدا ، حيث بين الغزالي رضى الله عنه ان الناس وبخاصة العلماء منهم قد التبسوا في معنى النفس والروح والقلب والعقل ، وان الوقوف على ذلك ذو أثر كبير في معرفة كيفية ادراك العلوم وحصول المعرفة ، فضلا عن انها تكشف لنا عن سلوك الانسان ، وتغير هذا السلوك وثباته ، واختلافه من شخص الى آخر بناء على عوامل نفسية او قوى النفس ، ومدى رجحان كفة قوة على قوة اخرى ، وكيفية الوصول الى سلوك مستقيم مرضي عنه شرعاً وعرفاً .

## النفس<sup>(٢)</sup>

لقد تكلم الغزالي رضى الله عنه عن النفس والروح والقلب والعقل ، وأبان ان هذه الالفاظ جميعها من الالفاظ المشتركة ذات المعاني المتعددة التي لكل منها أكثر من معنى واحد ، وقد أبان هنا ان لكل من هذه الالفاظ معنيين : أحد بعضها مادي والآخر معنوي ، أي أحد بعضها من عالم الملك والشهادة والآخر من عالم الملكوت المجرد عن المادة ، أعني ان أحد بعضها محسوس والآخر غير محسوس وذلك كما في القلب والروح . واحد بعضها

(١) المنقذ من الضلال ص ٧٠ .

(٢) الاحياء ج ٣ ص ٤ مبحث بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل .

- كما أبان - مذموم والآخر محمود وذلك كالنفس • وبعضها مغنوي منهاهما  
كما في مبحث العقل • وقد أبان في معاني كل لفظ المعنى المطلوب في مبحث  
النفس •

### القلب :

يطلق هذا اللفظ لمعنيين :

- ١ - اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر ، وهو  
لحم مخصوص ، وفي باطنه تجويف ، وفي ذلك التجويف دم أسود  
وهو منبع الروح ومعدنه • وهذا المعنى غير مقصود في بحثنا •
- ٢ - هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق ، وتلك  
اللطيفة هي حقيقة الانسان ، وهو المدرك العالم العارف من الانسان ،  
وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ، ولها علاقة مع القلب  
الجسماني ، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في ادراك وجه علاقته ،  
فان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام ، والاصاف بالموصوفات  
أو تعلق المستعمل للألة بالألة ، أو تعلق المتمكن بالمكان •  
وان شرح ذلك مما توقاه الغزالي رضي الله عنه لمعنيين أو لسبيين :  
أ - انه متعلق بعلوم المكاشفة ، وغرضه من الكتاب - الاحياء - علوم المعاملة  
ب - ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه •  
وان المقصود اذ أطلق لفظ القلب في هذا الكتاب - الاحياء - يراد  
به هذه اللطيفة والغرض ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها •

### الروح :

هو أيضا يطلق لمعنيين :

- ١ - جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة  
العروق الضواري الى سائر أجزاء البدن ، وجريانه في البدن وفيضان أنوار  
الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور

من السراج الذى يدار في زوايا البيت • فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به ، والحياة مثالها النور الحاصل من الحيطان ، والروح مثالها السراج ، وسيريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه • وهذا مما يتعلق به غرض الاطباء -

٢ - هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان • وهو الذى مر ذكره في المعنى الثاني من معاني القلب • وهو الذى أراده الله تعالى بقوله : ( قل الروح من أمر ربي )<sup>(٣)</sup> وهو من الامور العجيبة التي تعجز اكثر العقول والافهام عن درك حقيقته •

### العقل :

وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة منها معيان :

- ١ - انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور ، فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب •
- ٢ - انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة •

مركز تحقيقات كاميون علوم راسدى

### النفس :

وهو لفظ مشترك بين معان منها معيان :

- ١ - انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان ، وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف ؛ لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للمصفات المذمومة من الانسان ، فيقولون : لا بد من مجاهدة النفس وكسرها ، واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » •

- ٢ - هي اللطيفة التي مر ذكرها في المعاني الثانية للالفاظ السالفة الذكر والتي هي الانسان بالحقيقة، وهي نفسه وذاته، ولكنها توصف باوصاف

---

(٣) الاسراء آية ٨٥ •

مختلفة بحسب اختلاف أحوالها :

أ - فإذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة ، قال الله تعالى في مثلها : ( يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية ) (٤) .

ب - وإذا لم يتم سكونها وصارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعتضة عليها سميت النفس اللوامة ؛ لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه . قال الله تعالى : ( ولا أقسم بالنفس اللوامة ) (٥) .

ج - وإن تركت الاعتراض واذغنت واطمأنت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء . قال الله تعالى اخبارا عن يوسف ( ع ) أو امرأة العزيز : ( وما أبرئ نفسي ان النفس لأماراة بالسوء ) (٦) .

وقد يجوز ان يقال : ان المراد بالامارة بالسوء : النفس بالمعنى الاول رقم (١) وهي مذمومة غاية الذم ، وبالمعنى الثاني رقم (٢) محمودة ؛ لأنها نفس الانسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات .

اذن مما مر ذكره يتبين ان معاني هذه الالفاظ هي : القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوية والعلوم ، اضافة الى معنى خامس هو اللطيفة العالة المدركة من الانسان . فالالفاظ اربعة والمعاني خمسة ، وان اكثر العلماء قد التبس عليهم الأمر - اختلاف هذه الالفاظ وتواردها - حتى صاروا يتكلمون في الخواطر ويقولون : هذا خاطر النفس ، وهذا خاطر القلب ، وهذا خاطر الروح أو العقل من غير دراية ولا معرفة ، وحيث قد ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فان المراد به المعنى الثاني الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء ، وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر ؛ لأن بين اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة ، حيث ان القلب - اللطيفة - متعلق

(٤) الفجر الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٥) القيامة آية ٢ .

(٦) يوسف آية ٥٣ .

بالبدن جميعه ومستعمل له ، غير ان ذلك عن طريق القلب الجسمي • فتعلق  
اللطيفة ابتداء بالقلب الجسمي ، فهو كالمحل والمملكة والعالم بالنسبة لها •  
ومن كل ما سلف يتبين لنا بوضوح ما يلي :

١ - ان النفس الانسانية هي اللطيفة الربانية الروحانية أي أنها مفارقة للمادة  
مجردة عنها •

٢ - أنها هي الانسان على الحقيقة •

٣ - واذا كانت كذلك فهي المخاطبة وهي المحاسبة والمعاينة والمعاينة والمثابة •

٤ - هي المستعملة للبدن في خدمتها وأغراضها •

٥ - علاقتها بالقلب من حيث كونه بمثابة المحل والمملكة والعالم بالنسبة لها •

٦ - ان استعمالها للبدن ليس بطريق مباشر ، وانما عن طريق القلب الذي  
هو بالنسبة لها كما وصفنا •

واذا كان معنى هذه الالفاظ واحدا فما يقال من ان هذه خواطر القلب  
أو النفس أو الروح أو العقل دليل جهل القائل أكثر منه دليل علمه ومعرفته  
أو قل هو التباس الامر عليه من حيث ان هذه الالفاظ مترادفة لمعنى واحد  
وهو يتصورها الفاظا مختلفة لمعان مختلفة •

والغزالي ليس اول من استعمل هذه الالفاظ بمعنى واحد ، فقد قال بذلك  
ديمقريطس أو قال ببعضه ، حيث اعتبر النفس والعقل في الحقيقة شيئا واحدا  
قال ارسطو : « ..... الا انهم لم يحتموا حتم ديمقريط في قوله : النفس  
والعقل في الحقيقة شيء واحد » (٧) •

وان ما ذكره الغزالي ( رض ) بخصوص النفس وتسميتها أو قل  
تسمياتها وفق أحوالها وتبدلها ، وحسب صفاتها وتغيرها ، أو على ضوء تسلط  
احدى القوى النفسية على الاخرى ، أو طغيانها وظهورها دون سواها أو على  
حسابها مستفيدا في ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالنسبة

---

(٧) في النفس لارسطو • ترجمة اسحاق بن حنين • مراجعة وتحقيق  
د • عبدالرحمن بدوي ص ٩ •

للتسميات وفق تلك الاحوال ، وبهذا يكون في هذه الناحية - على الأقل - غير متأثر كلياً بالفلسفة ، وان كان ذلك التأثير واضحاً بالنسبة لطفيان القوى وتسمياتها ، ونستطيع ان نقول انه فسر ما جاء في القرآن والسنة من تسميات النفس بما ورد في الفلسفة من أحوال النفس وصفاتها ، وطغيان بعض القوى النفسية على بعض ، وما يترتب على ذلك من أحوال ، وما ينتج من نتائج ، وهو بذلك لم يترك الفلسفة كما انه لم يتخل عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالنسبة لما ورد فيهما بهذا الخصوص •

#### قوى النفس او جنودها(٨) :

ان مثل النفس أو القلب مثل الملك الذي يقوم على خدمته طوائف من الناس • كل يقوم بمهمة خاصة به وأهل نفسه لها • فالخدم غير الجنود والجنود غير الوزراء وهكذا ••  
وان للقلب او النفس جندين :

١ - جند ظاهر محسوس مشاهد بالابصار •

٢ - جند باطن لا يرى الا بالبصائر •

أما الجند المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة •

فهذه الحواس أو الاعضاء هي جند القلب المسخرة لخدمته والتي هي طوع اشارته ، وان مثلها بالنسبة للقلب مثل الملائكة بالنسبة لله تعالى حيث انهم مسخرون لله مجبولون على الطاعة ، لا يستطيعون خلافاً ، بل لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون •

أما الفرق بين الجندين : اعضاء الجسم بالنسبة للقلب والملائكة بالنسبة لله تعالى ان الملائكة ( ع ) عالة بطاعتها لله وامثالها لاوامره ، أما اعضاء الانسان فلا علم لها بذلك ، فهي مسخرة فحسب •

أما سبب افتقار القلب أو النفس لهذه الجنود أو القوى من حيث افتقاره

---

(٨) الاحياء ج ٣ ص ٧ مبحث بيان جنود القلب •

الى المركب والزاد الذى لاجله خلق وهو السفر الى الله تعالى وقطع المنازل الى لقائه فلأجل هذا اللقاء خلقت القلوب والنفوس ، قال الله تعالى : ( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون )<sup>(٩)</sup> وان مركبه لذلك انما هو البدن وزاده العلم والمعرفة • وبناء على ذلك فان حاجة النفس الى الجسم واضحة جلية ، مما يترتب على ذلك ان تكون هناك قوى تصون هذا الجسم وتحميه ، وتلبي طلبه وتحققه ، كل حسب اختصاصها وطبيعتها •

أ - وصيانة هذا الجسم انما تكون بجلب الغذاء الموافق له • ويتمثل ذلك فى جندين :

١ - جند ظاهر وهو الاعضاء القادرة على الجلب والحمل والنقل كاليد والرجل •

٢ - جند باطن وهو الشهوة حيث خلق فى القلب من الشهوات ما احتاج اليه والتي عن طريقها وبواسطة ايعازها يكون طلب المواد الغذائية وما تشتهيه •

ب - ومن أجل دفع المهلكات وما يسبب للجسم ضررا وأذى احتاج الى جندين :

١ - ظاهر وهو الاعضاء التي بواسطتها وعن طريقها يكون البطش والقتال ودفع عادية الاعداء •

٢ - باطن وهو الغضب الذى به يدفع المهلكات ، وينتقم من الاعداء ، وبمقتضاه تعمل الجنود الظاهرة •

ج - ومن اجل ان يكون الغذاء نافعا ، وما يحتاج اليه مجديا ، احتاج القلب او النفس الى المعرفة أي معرفة ما يحتاج اليه كالفذاء وغيره من المشتبهات ، فاحتاج للمعرفة الى جندين :

١ - ظاهر هو الحواس : العين والاذن والانف •••

٢ - باطن وهو ادراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق • وهذا

(٩) الذاريات آية ٥٦ •



يعنى ان فى النفس خمس قوى هي :

- ١ - القوة الغاذية
- ٢ - القوة الشهوية
- ٣ - القوة الغضبية
- ٤ - القوة المدركة • وهذه تكون على شقين :
  - أ - القوة الاحساسية
  - ب - القوة العقلية •

وبذلك يكون مجموع قوى النفس خمس قوى • وهذا التقسيم قريب من تقسيم الفارابي لقوى النفس حيث قسمها الى :

القوة الغاذية ، القوة الاحساسية ، القوة المتخيلة ، والقوة الناطقة<sup>(١٠)</sup> •  
لو لا ان الفارابي جعل المتخيلة قوة مستقلة ، ولم يذكر الغضبية والشهوية •  
وان عاد الفارابي فذكر تلك القوى مفصلة فى موضع آخر وبصورة أقرب ما تكون لما عرضه الغزالي ( رض ) مما يدل على درجة تأثيره بهؤلاء الفلاسفة ، قال الفارابي : « وللانسان من جملة الحيوان خواص بان له نفسا تظهر منها قوى ، بها تفعل أفعالها بالآلات الجسمانية ، وله زيادة قوة بأن يفعل لا بآلة جسمانية ، وتلك قوة الفعل ومن تلك القوى الغاذية والمربية والمولدة ، ولكل واحدة من هذه قوة تخدمها •

ومن قواها المدركة القوى الظاهرة والاحساس ، والباطنة المتخيلة والوهم والذاكرة والمفكرة • والقوى المحركة : الشهوانية والغضبية التي تحرك الاعضاء • وكل واحدة من هذه القوى التي ذكرناها تفعل بآلة ولا يمكن الا كذلك ، وليس واحدة من هذه القوى بمفارقة ،<sup>(١١)</sup> •

وهذا التفصيل للتقسيمات الظاهرة والباطنة واسماؤها قريب منه جدا ما

---

(١٠) المعرفة عند مفكري المسلمين • د • غلاب ص ٢٢١ عن عيون المسائل لنفاري ص ١١ •

(١١) المعرفة عند مفكري المسلمين د • غلاب ص ٢٢٣ •

سبق ان ذكره الغزالي ( رض ) وهو دليل تأثره بالفلاسفة وتقسيماتهم لقوى النفس وتفصيلاتها •

والغزالي ( رض ) لا يقف عند هذه التقسيمات السابق ذكرها • بل انه يعود وفي نفس الموضوع فيجمل هذه القوى فيقول :  
فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف :

١ - صنف باعث ومستحث :

- اما الى جلب النافع الموافق كالشهوة •
- واما الى دفع الضار المنافي كالغضب •
- وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة •

٢ - صنف محرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ، ويعبر عن هذا الثاني او هذا الصنف بالقدرة • وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاورتار •

٣ - صنف مدرك متعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، وهي مبثوثة في أعضاء معينة • ويعبر عن هذا الصنف بالعلم والادراك •  
ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم ••• وهي من عالم الحس أي من عالم الملك والشهادة •

والصنف الاخير رقم (٣) أي المدرك من هذه الجملة ينقسم الى :

أ - ما قد أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس ، أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس •

ب - ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة :

١- فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال •

٢ - ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ •

- ٣ - ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض وذلك بالمفكرة  
 ٤ - ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه وذلك بقلة التذكر •  
 ٥ - ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين  
 المحسوسات •

ففي الباطن : حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ • ولو لا  
 خلق الله تعالى هذه القوى لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرجل عنه •  
 فتلك القوى ايضا جنود باطنة وامانها ايضا باطنة ، فهذه هي أقسام جنود  
 القلب ( قوى النفس ) •

والغزالي ( رض ) في هذا التقسيم المجميل الى ثلاثة اصناف مطابق  
 كل المطابقة لما ذهب اليه افلاطون في تقسيم قوى النفس تقسيما ثلاثيا • الى  
 نفس شهوية ونفس غضبية ونفس عاقلة ، (١٢) •

وفي تفصيلاته للقوى المدركة قريب جدا من تقسيم الفارابي لقوى  
 النفس وذلك كما هو واضح في النص السالف الذكر والمنقول عن كتاب  
 المعرفة عند مفكري المسلمين للدكتور غلاب •

وبامكاننا القول ان الغزالي ( رض ) في شرحه لقوى النفس أو جنود  
 القلب يكشف بوضوح عن درايته بالنفس وقواها ، واقسامها ظاهرة وباطنة ،  
 ومهمة كل واحد منها ، وهو في ذلك لا يختلف عما يعرضه أي فيلسوف  
 مسلم أو يوناني بهذا الخصوص ، وهو نفسه ما يبحثه علم النفس الحديث  
 بعد انفصاله عن الفلسفة الام ، واستقلاله عنها •

أما كيفية حصول المعرفة بعد أخذ الحواس للمحسوسات ونقلها الى قوى  
 النفس ، ومهمة كل قوة من تلك القوى وهو موضوع نفسي فلسفي يدخل  
 في مهمة النفس باعتبارها القوة المدركة ، وفي مهمة الفلسفة باعتبار ذلك  
 موضوع المعرفة ، أو قل في مهمة الفلسفة باعتبار استقلالها بموضوع المعرفة •

(١٢) أرسطو تأليف د • عبدالرحمن بدوي ص ٢٣٩ •

### العلاقة بين النفس وقواها (١٣) :

ان الغزالي ( رض ) يصور لنا علاقة النفس بقواها تصويرا دقيقا ، ويجسدها تجسيدا جميلا يكشف لنا عن مدى سبره لاغوار هذه النفس ، وفهمه لقواها ، ودرجة تأثير كل قوة بالنسبة للقوى الاخرى او تأثرها بها ، وموقف النفس منها ، ومكائنها بالاضافة اليها ، والحالات التي تكون فيها هذه القوى مسخرة في خدمة هذه النفس والبدن بصورة سليمة ، ومتى تكون خلاف ذلك على ضوء طفيان احدي هذه القوى على الاخرى وتسلطها على حسابها . وهذا التصوير وان صرح الغزالي (رض) انه ايضاح لتفهم الضعفاء فان حاجة العلماء اليه ليست بأقل من حاجة الضعفاء .  
والصور التي رسمها والامثلة التي ضربها هي :

١ - ان مثل النفس الانسانية في البدن كمثل الملك في المدينة او المملكة ، فان بدن الانسان مملكة النفس ومدينتها وعالمها ومستقرها ، وان الجوارح والقوى بمنزلة الصناع والعملة .  
وان القوة العقلية المفكرة بالنسبة للملك أشبه شيء بالمشير الناصح والوزير العاقل .

وان مثل الشهوة بالنسبة له كمثل عبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة . وان القوة الغضبية بالنسبة له كصاحب الشرطة .  
العبد الجالب للمسيرة والطعام كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وحقيقته مغايرة لذلك حيث تحت ذلك النصع الشر الهائل والسهم القاتل ، وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح ( القوة المفكرة ) ومخاصمته في آرائه حتى ان هذه المنازعة والمخاصمة لا تنقطع لحظة .

والوالي في المملكة اذا كن معتمدا على وزيره مستغنيا به في تدبيراته ، ومستشيرا له في أموره ، معرضا عن اشارة العبد الخبيث

(١٣) الاحياء ج ٣ ص ٨ مبحث بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنية .

( الشهوة ) ، مستدلا بإشارته في ان الصواب في تقيض رأيه ، أدبه صاحب شرطته ( القوة الغضبية ) ، وساسه لوزيره ، وجعله مؤتمراً له مسلطاً من جهته على هذا العبد الخيث واتباعه واعوانه وانصاره ، حتى يصبح العبد مسوساً لاسائسا ، ومأموراً مدبراً لا أميراً مدبراً ، استقام أمر بلده وساد العدل بسببه .

وكذلك النفس متى استعانت بالعقل ( القوة المفكرة ) وأدبت الغضبية ، وجعلتها مسلطة على الشهوة ، واستعانت باحدى القوتين على الاخرى من أجل كسر حديتهما : تارة بأن تقلل مرتبة القوة الغضبية وغلوائها بعدم مخالفة الشهوة واستدراجها ، وتارة اخرى بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها ، وتقيح مقتضياتها ، اعتدلت قواها ، وحسنت أخلاقها ، ومن عدل عن هذه الطريقة كان متخذاً هواه إلهاً ، ومتبعاً إياه ، وصدق قول الله تعالى فيه : ( أفأريت من اتخذ الهه هواه وأضلله الله على علم ) (١٤) .

لقد كان تصويراً دقيقاً ومشهداً حياً ، اشخصه قوى النفس ، وبطله القوة المفكرة أي الوزير الناصح والمشير العاقل . وموزع الادوار او المخرج النفس ، أو الملك المتأثر على ادارة الادوار بعد توزيعها على الاشخاص من اجل الوصول الى استقرار كامل ، وسير سليم للوصول الى الهدف النهائي . وهو تحقيق العدل بين هذه القوى ، أو تحقيق الاعتدال ، وابقاء الهيمنة والسيطرة للقوة المفكرة ، مستفيدة من توجيهها وإشارتها ، مخالفة القوة الشهوانية ، كاسرة حدة القوتين العدوين : الغضب والشهوة .

٣ - ان مثل بدن الانسان كمثل المدينة أو المملكة ، ومثل العقل أو النفس كمثل ملك مدبر لهذه المملكة او المدينة ، وان قوى النفس المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنود وأعوان للنفس ، وأعضاؤها كالرعية

(١٤) الجاثية آية ٢٣ .

بالنسبة له ، وان النفس الامارة بالسوء المتمثلة في القوة الغضبية والشهوية كعدو ينازع في المملكة ويخاصم ، ويسعى في اهلاك الرعية وابادتها . فاصبح البدن كيرباط وثغر ، والنفس كمقيم فيه مرابط ، فان هو - المقيم المرابط - - جاهد عدوه وقاتله ، وقهره وهزمه على مايجب حمد أثره اذا عاد الى الحضرة كما قال الله تعالى ( والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدین ) (١٥) .

وان ضيع الثغر وأهمل الرعية ذم أثره فانتقم منه عند الله تعالى ، فيقال له يوم القيامة يلداعي السوء أكلت اللحم ، وشربت اللبن ، ولم تأو الضالة ، ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر ، والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله ( ص ) « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » .

٣ - ان مثل النفس كمثل فارس متصيد ، والشهوة او القوة الشهوية كالفرس لهذا الفارس ، والقوة الغضبية كالكلب التابع له أو المستخدم من قبله . فاذا كان الفارس حاذقا ، والفرس مروضاً ، والكلب مؤدباً معلماً كان جديراً بالنجاح ، وحقيقاً بالفلاح ، واذا كان الفارس في نفسه أخرق والفرس جموحاً ، والكلب عقوراً ، فلا فرسه ينبعث من تحته منقاداً ، ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعاً ، فهو خليق بان يعطى فضلاً عن ان ينال ما طلب .

وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكرال بصيرته ، وقلة درايته ، وجماح الفرس مثل غلبة القوة الشهوية : شهوة البطن والفرج .

وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه .

بهذه الصورة الحية واللوحات المجسدة التي رسمها لنا النزالي (رض)

(١٥) النساء آية ٩٥ .

اتضح لنا مكانة النفس الانسانية من قواها • وكيفية سياستها وتدبيرها ،  
وتسييرها في الطريق السوي ، وكيفية جموح قواها او بعضها نتيجة لجهلها  
وقلة درايتها ، ومن ثم خضوعها في تحقيق هدفها المرسوم •

والغزالي في كل هذا ومنه ليس له الا جودة العرض ، ودقة التصوير ،  
وجمال التمثيل ، فهو من هذه الناحية فنان بارع ، ومصور مجيد ، وممثل  
مبدع ولا ضير يلحقه بسبب ذلك •

**اعتدال قوى النفس وجموحها ونتائجها (١٦) :**

لقد تكلم الغزالي ( رض ) عن النفس وقواها ومكانة هذه النفس أو  
العقل من هذه القوى ، وأبان ان النفس اذا سلت قواها بصورة صحيحة  
وصلت الى نتيجة محمودة مظهرها سلامة الانسان وبدنه واستقراره واطمئنانه  
وعدم اعتلاله ، وقد عالج الموضوع بصورة اكثر تفصيلا ، وأبان ان لكل قوة  
من قوى النفس طرفين : طرف زيادة وطرف نقصان ، اذا مالت الى أي منهما  
نتج عنه صفة من الصفات في الانسان واضحة جليلة ، نعت بها وعرف ، وهذه  
القوى كما مر سالفا هي :

١ - القوة المفكرة أو قوة العلم

٢ - القوة الشهوية

٣ - القوة الفضيحة

٤ - قوة العدل

**فكرة العلم أو القوة المفكرة :**

حسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بواسطتها ادراك الفرق بين  
الصدق والكذب في الاقوال والاخبار ، والتميز بين الحق والباطل في  
الاعتقادات • وبين الجميل والقيح في الافعال ، فاذا صلحت هذه القوة حصل  
منها ثمرة الحكمة ، والحكمة رأس الاخلاق الحسنة ، وهي التي قال الله

---

(١٦) الاحياء ج ٣ ص ٦٩ مبحث فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق •

تعالى فيها : ( ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا )<sup>(١٧)</sup> .

#### واقصوة الشهوة :

حسنها وصلاحها فى ان تكون تحت اشارة الحكمة أعني اشارة العقل

والشرع .

#### والقوة الغضبية :

حسنها وصلاحها فى ان يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة .

#### أما قوة العدل :

فهى ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع .

فاعتدال القوة العقلية أو المفكرة ينتج عنه الحكمة .

أما ميلانها جانب الافراط فينتج الخبث والجريزة والمكر والخداع .

وميلانها الى جانب التفريط فيصدر عنه البله والغمارة والحمق

والجنون .

وان اعتدال القوة الشهوية أي حسنها وصلاحها فينتج عنه العفة أو يعبر

عن هذا الاعتدال بالعفة .

وميلها الى جانب الافراط يشبب الشره .

كما ان ميلها جانب التفريط او النقصان يسمى جمودا .

وبالنسبة للقوة الغضبية فان اعتدالها يعبر عنه بالشجاعة .

فان مالت الى الافراط او جانب الزيادة سميت تهورا أو نتج عنه

صفة التهور .

وان مالت جانب التفريط او النقصان سميت جبنا وخورا ، أو نتج عنها

الجبين والخور .

أما بالنسبة لقوة العدل فانها ليس لها طرفان كالقوى الاخرى حتى

ينتج عنها صفتان بسبب الميل الى الزيادة او النقصان ، وانما لها جند واحد

---

(١٧) البقرة آية ٢٦٩ .



ومقابل وهو ما يدعى بالجور والظلم •  
 فالاعتدال هو الصفة المحمودة وهو الفضيلة •  
 والطرفان : طرف الزيادة والنقصان رذيلتان مذمومتان •  
 فامهات الاخلاق وأصولها أربعة هي :  
 الحكمة والشجاعة والعفة والعدل • وهي نتيجة اعتدال كل قوة من  
 قوى النفس •  
 ومن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها •  
 فمن اعتدال القوة المفكرة او قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة  
 الذهن وثقابة الرأي ، واصابة الظن ، والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات  
 النفوس ، أي نحصل على الحكمة •  
 ومن افراطها : تصدر الجريزة والمكر والخداع والدهاء •  
 ومن تفريطها : يصدر البله والغفارة والحمق والجنون •  
 وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم ، والنجدة والشهامة وكسر  
 النفس ، والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها  
 وهي اخلاق محمودة • مركز تحقيق قاييم علوم ردي  
 واما افراطها وهو التهور فيصدر منها الصلف والبذخ والاستشاعة  
 والتكبر والعجب •  
 اما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر  
 النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب •  
 أما خلق العفة : فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة  
 والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع •  
 أما ميلها الى الافراط او التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة  
 والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد  
 والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك •  
 فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربعة وهي : الحكمة والشجاعة

والعفة والعدل وغيرها فروع لها .  
وهذه الاصول وفروعها مبدؤها النفس وقواها ، ومكانة كل قوة من هذه القوى ، وموقفها من القوة العقلية استجابة وتمردا ، طاعة ومخالفة ، اعتدالا وجموحا الى طرفي الزيادة والنقصان . وهو موضوع نفسي صميم مبدأ ونتيجة - وان كان في عداد الموضوعات الاخلاقية - لان مبنائها النفس وقواها .

واعتبار الفضيلة وسطا بين طرفين : زيادة ونقصان ، أو افراط وتفریط ، نظرية ارسطية أو رأي ارسطي قال الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه ارسطو « فالفضيلة عنده نوع من الوسط بين طرفين : احدهما افراط والآخر تفریط . فمثلا فضيلة كالشجاعة هي وسط بين افراط هو التهور ، وتفریط هو الجبن ، وفضيلة الكرم أو السخاء هي وسط بين افراط هو التبذير ، وتفریط هو التقير ... » (١٨)

هذه هي نظرية الفضيلة لدى ارسطو وهي نفس نظرية الغزالي (رض) وهي نوع من الوسط بين طرفي زيادة ونقصان ، فهل تعتبر الغزالي آخذا عن ارسطو رأيه كما هو أم أنه اتفاق من غير اطلاع ؟ أم أنه رأي اسلامي والتزام الغزالي بما ورد في الاسلام جعل التطابق بينه وبين ارسطو من غير أن يأخذ عنه .

فمما لا شك فيه ان الغزالي مطلع على آراء الفلاسفة يونانيين واسلاميين ومنهم ارسطو . كما انه مما لا يخفى على أحد ان فكرة الوسط بين طرفين هو الفضيلة وهي اسلامية صميمية حيث وردت النصوص القرآنية والحديثية داعية الى ذلك مشيدة به ، فمن ذلك قوله تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » (١٩) وقوله تعالى : ( وكان بين ذلك قواما » (٢٠) .

(١٨) ارسطو : عبدالرحمن بدوي ص ٢٦٠ .

(١٩) البقرة آية ١٤٢ .

(٢٠) الفرقان آية ٦٧ .

مما تقدم نستطيع القول ان الغزالي ( رض ) مطلع على رأي ارسطو في الفضيلة وآخذ بما في الاسلام ولا يبعد ان يكون متأثراً بما ورد عن ارسطو ، كما انه محتم أنه آخذ بما ورد في الاسلام ملتزم به .  
طريق معرفة الانسان عيوب نفسه (٢١) :

ان الله سبحانه وتعالى اذا اراد بالمبد خيراً بصره بعيوب نفسه ، وعرفه نواقصها ، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه ولا كان جاهلاً بنواقصها ، لانه متى عرف العيوب استطاع العلاج ، غير ان اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم غير عارفين بنواقصها يرى احدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه . ومن اراد ان يعرف عيوب نفسه ويقف على نواقصها فله اربعة طرق :

١ - ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ، ويتبع اشارته في مجاهدته ، وهذا شأن المريد مع شيخه ، والتلميذ مع استاذه ، فيعرفه استاذه وشيخه عيوب نفسه ، ويعرفه طريق علاجها .

وان ما يعرف بالعلاج والطب النفسي ، والاطباء النفسيين . لا يصل كل ذلك - رغم تقدم العصر وعلومه - الى درجة الشيخ في درايته ومرتبته في خبرته ؛ لان الشيخ يلزم تلامذته ومريديه وقتاً طويلاً قد يصل العمر كله ، يعمده كل هذا الوقت بالعلم والمعرفة في خفايا النفوس وخباياها مما لا يصل اليه غيره .

٢ - ان يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً فينصبه رقيباً على نفسه ليلحظ احواله وافعاله فما كره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبه عليه ، فهكذا يفعل الاكياس والاكابر من أئمة الدين .  
كان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرأ اهدى اليّ عيوبي . وكان

---

(٢١) الاحياء ج ٣ ص ٨٢ مبحث الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه .

يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له : ما الذى بلغك عني مما تكرهه ؟  
فاستغنى فالح عليه فقال : بلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة ، وان لك  
حلتين : حلة بالنهار • وحلة بالليل ، قال وهل بلغك غير هذا ؟ • قال لا فقال  
أما هذان فقد كُفيتهما •

فان السؤال يوجه الى الاصدقاء الصدوقين ، البصيرين المتدينين الذين  
يوثق بهم ، ويكون كلامهم مقبولا وحجة : ليقف السائل على عيوب نفسه ،  
ويعرف نواقصها ليتجنبها ، ويسأل ما قد بلغ الناس عنه ليعرف ان كان ذلك  
فيه ليعالجه بالاجتناب ان كان سيئا ، ويثبت عليه ان كان حسنا •

٣ - ان يستفيد من معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فان عين السخط  
تبدي المساويا • ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من  
انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه ، الا ان الطبع  
مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ، غير ان البصير لا يخلو  
عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على الستمهم •

وهذه وسيلة مفيدة الا انه يجب ان تؤخذ أقوال الاعداء والحساد بحذر  
شديد ؛ لان نية الانسان قد تكون مخالفة لما يشيعه الاعداء عنه بقصد الاضرار  
به والاقلال من قيمته وقيمة عمله ، والتشكيك في اعماله ومشاريعه • فعليه  
ان تكون ثقته بنفسه قوية لدرجة لا تؤثر فيه أقوال الحساد والاعداء ، بل  
تكون وسيلة لمراجعة نفسه من اجل زيادة ثقته بنفسه وتصميمه في خطواته  
وفي نفس الوقت التقليل من اخطائه ان وجدت بل اجتنابها قدر المستطاع •

٤ - أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه  
به ، وينسبه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن ، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ،  
ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى ، فما يتصف به واحد من الاقران لا  
ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه ، أو عن شيء منه ، فليتفقد  
نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره ، وناهيك بهذا تأديبا ، فلو ترك  
الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب •

قيل لعيسى عليه السلام : من أدبك ؟ قال ما أدبني أحد • رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته •

وهذه النقطة أو الوسيلة سليمة جدا لمن كان له احساس وبصيرة يستطيع بها معرفة الطيب لدى الناس ليثبت نفسه على مثله ، وغير المرغوب فيه لديهم ليرى ان كان فيه مثله اجتنبه ، وجعل نفسه بعيدا عنه ، أما من افتقر الى الاحساس والبصيرة والمحاسبة فلانصيب له من هذه الوسيلة ولا من غيرها • والطرق الثلاثة الاخيرة وسيلة من فقد الشيخ المجرب ، والمعلم العارف ، والمربي الحاذق الذى يقف نفسه على تهذيب نفوس غيره بعد وصوله درجة استغناء نفسه عن ذلك •

#### طريق تربية الاطفال في أول نشوئهم (٢٢) :

ان معرفة الطريق فى تربية الصبي ورياضته من اهم الامور ؛ لان الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة ، وهو مائل الى كل ما يمال به اليه ، وقابل لكل ما ينقش فيه ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر وأهمل شقي وكان الوزر فى رقبة المسؤولين عن تربيته • ولاجل الفوز بالثواب معه واجتناب تحمل الوزر معه لزم القيام بما يلي :

١ - ينبغي على المسؤول عنه ان يراقبه من اول أمره فلا يستعمل فى حضائته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال • فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه • فاذا وقع عليه نشوء الصبي انعجت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث •

٢ - ان يحسن مراقبته خاصة اذا رأى عليه مخايل التميز • فاذا ظهر عليه الحياء والاحتشام والاستغناء وصار يترك بعض الافعال فان ذلك ليس الا

---

(٢٢) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٩٢ مبحث بيان الطريق فى رياضة الصبيان •

لاشراق نور العقل عليه ومعرفة قباحة بعض الافعال وضرورة تركها ، وضرورة  
الحياء من شيء دون شيء ، وذلك بشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء  
القلب • وهو بشارة ايضا بكمال العقل عند البلوغ ، وعليه ينبغي ان لا يهمل  
وانما يستعان على تأديبه بمبادئه وحياته •

٣ - ان اول ما يغلب على الطفل من الصفات شره الطعام فينبغي ان  
يؤدب فيه مثل :

- أ - ان لا يأخذ الطعام الا بيمينه •
- ب - ان يقول عليه بسم الله عند أخذه •
- ج - ان يأكل مما يليه •
- د - ان لا يبادر الى الطعام قبل غيره •
- هـ - ان لا يحدق النظر اليه ، ولا الى من يأكل •
- و - ان لا يسرع في الاكل وان يجيد المضغ •
- ز - ان لا يوالي بين اللقم •
- ح - ان لا يلطخ يده ولا ثوبه •
- ط - أن يموّد الحبز القفار - المجرد - في بعض الاوقات حتى لا يصير  
بحيث يرى الأدم ختما •
- ي - ان يقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه كل من يكثر الاكل بالبهائم •
- ك - ان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي  
المتأدب القليل الاكل •

- ل - ان يجب اليه الايتار بالطعام وقلة المبالاة به •
- م - ان تحجب اليه القناعة بالطعام الخشن أي الطعام كان •
- ٤ - ان يجب اليه الثياب البيض دون الملون والابريسم ، ويقرر عنده  
ان ذلك شأن النساء والمختئين • وان الرجال يستنكفون منه ، ويكرر ذلك  
عليه ، ومتى رأى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون استكره وذمه •
- ٥ - ان يحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التعم والرفاهية ولبس  
الثياب الفاخرة ، وعن مخالطة كل من يسمعه ويرغبه فيه •

- ٦ - ان يشغل فى المكتب فيتعلم القرآن واحاديث الاخبار وحكايات  
الابرار واحوالهم لينغمس فى نفسه حب الصالحين •
- ٧ - ان يصاب من الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ، ويصاب عن  
مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع ؛ لان ذلك  
يغرس فى قلوب الصبيان بذر الفساد •
- ٨ - اذا ظهر على الصبي خلق جميل وفعل محمود ينبغي ان يكرم  
عليه ويجازى عليه بما يفرح به ، وان يمدح بين الناس على ذلك •
- ٩ - اذا خالف الافعال المحسودة فى بعض الاحوال مرة فينبغي ان  
يتغافل عنه ولا يكشف بذلك حتى لا يجثره ذلك على مثله ، واذا تكرر منه  
ذلك الفعل - المخالفة - فانه يكشف سرا ويحذر من العودة لمثل هذا ، وانه  
اذا اطلع عليه أحد افتضح بين الناس •
- ١٠ - ان لا يكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة  
وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه •
- ١١ - ينبغي على الاب ان يكون حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا  
احيانا ، وعلى الام ان تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح •
- ١٢ - ينبغي ان يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل و لا يمنع منه  
ليلا •
- ١٣ - ان يمنع الفراش الوطيئة حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسمن بدنه ،  
فلا يصبر عن التنعم ، ويعود الخشونة فى الفرش والملبس والمطعم •
- ١٤ - ينبغي ان يمنع من كل ما يفعله فى خفية ، فانه لا يخفيه الا وهو  
يعتقد انه قبيح ، فاذا ترك تعود فعل القبيح •
- ١٥ - ان يعود فى بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب  
عليه الكسل •
- ١٦ - ينبغي ان يمنع من ان يفتخر على اقربائه بشيء مما يملكه  
والداه ، أو بشيء من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته •
- ١٧ - ان يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف فى الكلام

معه • ويمنع من ان يأخذ شيئاً بداله حشمة ان كان من اولاد المحتشمين ،  
وان يعلم الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ ، وان الأخذ لؤم وخسة ودناءة •  
١٨ - اذا كان من اولاد الفقراء ينبغي أن يعلم ان الطمع والأخذ مهانة  
وذلة ، وان ذلك من دأب الكلب فانه يصبص في انتظار لقمة والطمع فيها •  
١٩ - يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ، ويحذر  
منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب ، فان آفة حب الذهب والفضة  
والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان ، بل على الاكابر ايضا •  
٢٠ - ينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يمتخط ولا يتناوب  
بحضرة غيره ، ولا يستبدر غيره ، ولا يضع رجلا على رجل ، ولا يضع  
كفه تحت ذقنه ، ولا يعمد رأسه بماعده فان ذلك دليل الكسل •

٢١ - ان يعلم كيفية الجلوس ، ويمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك  
يدل على الوقاحة وانه فعل اللثام •  
٢٢ - يمنع اليمين رأسا - صادقا أو كاذبا - حتى لا يعتاد ذلك في  
الصغر •

٢٣ - يمنع ان يتتدى بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر  
السؤال •

٢٤ - ان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر منه سنا •  
٢٥ - ان يقوم لمن فوقه ، ويوسع له المكان ويجلس بين يديه •  
٢٦ - يمنع من لغو الكلام وفحشه ، ومن اللعن والسب ، ومن مخالطة  
من يجرى على لسانه شيء من ذلك ، فان ذلك يسري لا محالة من القرناء  
السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء •  
٢٧ - ينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ دأب الممالك  
والنساء •

٢٨ - ينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا  
يستريح اليه من تعب الكتب بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من  
اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكائه ، وينقص عليه العيش



حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً •

٢٩ - ينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه ومن هو اكبر منه سناً من قريب واجنبي ، وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم ، وان يترك اللعب بين ايديهم •

٣٠ - ومهما بلغ سن التمييز فينبغي ان لا يسمح في ترك الطهارة والصلاة ، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ، ويجتنب الديباج والحريير والذهب ، ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع •

٣١ - يخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما ينلب على الصبيان ، فاذا وقع نشوؤه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن ان يعرف أسرار هذه الامور •

٣٢ - يذكر له ان الاطعمة أدوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان بها على طاعة الله عز وجل ، وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها ، وانها دار ممر لا دار مقر ، وان الآخرة دار مقر لا دار ممر ، وان الموت منتظر كل ساعة ، وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة تعظم درجته عند الله تعالى ، ويتسع نعيمه في الجنان ، فاذا كان النشوء صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقماً مؤثراً ناجحاً ، يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر • وان وقع النشوء بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب ، والفحش والوقاحة ، وشره الطعام ، واللبس والتزين ، والتفاخر بما قلبه عن قبول الحق بزوة الحائط عن التراب اليأس •

فأوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى ، فان الصبي بجوهره خلق قابلاً للخير والشر جميعاً ، وانما ابواه يميلان به الى أحد الجانبين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (٢٣) •

---

(٢٣) رواه اصحاب السنن الاربعة والبيهقي والطبراني •

ان هذه النقاط التي ذكرها الغزالي ( رض ) تصلح كل واحدة منها أن تكون موضوع بحث وتعالج على حدة لأهميتها وخطورتها في التربية والتعليم، وهي أساسية لو أخذ بها المربون واستعان بها المعلمون لكان لدينا أجيال لا تعرف الا الخير ولا تنتج الا الخير ، بعيدة عن الكسل والخمول قريبة من الجهد والعمل ، بل لكانت شعلة تضيء لغيرها دروب الحياة ، ولكانت كمثل المسك ان لم تبتاعه أفادك من أريجيه .

ولكن اين نحن الآن من هذا ؟ أصبحنا بيننا وبينها قدر ما بين السماء والارض ، بل صرنا كنافخ الكير لا ينالنا الا الاحراق والرائحة الكريهة ومن مثل ما زرعنا أصبحنا نحصد ولا غرابة .

### قائمة بأسماء المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - المنقذ من الضلال - للإمام الغزالي تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود دار النصر للطباعة .
- ٣ - احياء علوم الدين - للإمام الغزالي مطابع سجل العرب .
- ٤ - في النفس - لأرسطو ترجمة اسحاق بن حنين - مراجعة وتحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوي - مطبعة النهضة المصرية .
- ٥ - المعرفة عند مفكري المسلمين - تأليف الدكتور محمد غلاب . الدار المصرية للتأليف والنشر .
- ٦ - الجامع الصغير - جلال الدين السيوطي - الطبعة الرابعة - مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر .
- ٧ - أرسطو - للدكتور عبدالرحمن بدوي - الطبعة الثالثة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .